

## الرواية العربية

تتضارب النظريات و تختلف حول إعطاء تعريف عام لمفهوم الرواية ، لأن الجنس الروائي مازال في طور التشكل و التكوين ، يرى النقاد أن جنس الرواية جنس أدبي نثري يقوم على الحكى القصصي المرتكز على الخيال ، كما ذهب هؤلاء إلى ربط هذا الجنس بالمجتمع الغربي و نشأة النظام الرأسمالي و صعود الطبقة البورجوازية و هيمنة قيمها .

تقدم الرواية رؤية إنسانية لقضايا البشر و أزمتهم ، و جوهر هذه الرؤية يتمثل في البحث عن القيم الأخلاقية التي توفر التوازن للإنسان و هو يواجه الصراع ، و يحاول مستمينا التوصل لتثبيت قيمه التي يؤمن بها و يراها وسيلة استمراره في الحياة .

الرواية جانب من التراث الفكري الذي يمثل الجانب الروحي للأمة ، و النقاد يقومون بالبحث عن جماليتها و قيمها التي تمثل عناصر استمرارها و لحظات نموها . حيث أصبح الجنس الروائي سجلا ثقافيا هاما يصور الهموم الحقيقية و الأحاسيس الصادقة التي يعيشها الإنسان في واقعه المعقد الذي ولدته الظروف الحضارية الجديدة ، فكل تنظيم للمجتمع يستتبع بتشكيل جديد للفن القصصي يعبر عنه و يتفق مع آفاق المجتمع .

طبيعة الرواية طبيعة نوعية تتمثل في مرونة بنيتها السردية التي تجعلها قادرة على أن تعكس حياة الإنسان و صراعاته بكل أشكالها و ذلك لاحتقالها بالتفاصيل الجزئية و كل ما يمكن أن يصدر ضمن التجربة الإنسانية المتخيلة و المصورة للمجتمع حيث أنها ترتبط بعلاقة حميمة مع الواقع الاجتماعي .

تقدم الرواية صورة موازية رمزية للواقع الحقيقي متوغلة في أعماق الشخصية الإنسانية و محيطة بالمواقف الإنسانية المختلفة ، و بذلك أصبحت الرواية أساسية في منظومة الثقافة المعاصرة ، و أصبحت هي المعبر عن الواقع العام و الخاص الاجتماعي و الذاتي في آن واحد .

الرواية عمل سردي متخيل يتضمن مقومات عديدة منها : الأحداث و الوقائع مسترسلة فيها و موزعة على فصول و مرتبطة بشخصيات تتعدد و تتنوع و تحمل دلالات ، اجتماعية و فكرية و ثقافية و نفسية .

### نشأة الرواية العربية:

اختلف النقاد حول نشأة الرواية و هل هي ذات صلة بالتراث أم تقليد للرواية الغربية؟

و قد اتخذت الرواية مسارات متعددة و غنية و متطورة بفعل تطور المجتمع ، فهناك من يتحمس إلى أصلها العربي و يرى أنها وليدة التراث القديم و استمرارا له ، و قد درسوا الأعمال الروائية الأولى و حاولوا إثبات الصلة بين الرواية و المقامة و بقية التراث القصصي عند العرب ، و هناك من ينفي ذلك و يرى أنه لا توجد صلة بين هذا التراث القصصي و الرواية الجديدة و يرى أنها وليدة الاحتكاك بالغرب و التعرف على إنتاجه و نقله إلى العربية و يستند أصحاب هذا الرأي في تعليل فقدانها في الأدب العربي إلى ضعف الخيال العربي و اختلاف لغة الأدب عن لغة الكلام عند العرب و انتشار الأمية في البلاد العربية قلة الأساطير و سجل الحروب و اعتزال المرأة عن التواجد الظاهر ... كل هذا أفقد الأدب العربي وجود الرواية . لذا يؤكد هؤلاء النقاد أن الرواية العربية كشكل أدبي متطور لم تظهر في عالمنا العربي إلا مع بداية الاجتياح الأوروبي للبلدان العربية و بالتحديد مع أواخر القرن 19 و بداية القرن 20 ، اذ بدأت تبرز المحاولات الأولى للرواية عند بعض الكتاب العائدين من البعثات الطلابية خاصة من فرنسا .

و يمكن القول أن الرواية العربية الحديثة - حسب أغلب النقاد - ظهرت متأثرة بالأدب الغربي و ان كانت في بدايتها تأثرت بالتراث القديم من ناحية المادة و المضمون لكنها سرعان ما انقطعت صلتها بالتراث و تأثرت بالرواية الغربية فتراجعت المحاولات الأولى و المتأثرة بالتراث و الكثير من كتاب هذه المرحلة اهتموا بترجمة الرواية الغربية الرومانسية و تركوا الاهتمام بتطوير تراثهم مما أدى الى رفض هذا التراث القديم و قطع الصلة بينه و بين الرواية الفنية.

اتخذت الرواية مسارات متعددة غنية و متطورة بفعل تطور المجتمع العربي و ظهرت عدة روايات و انتشرت و توج التراكم الروائي بظهور العديد من الروائيين المتميزين أهمهم "نجيب محفوظ" الأب الروحي للرواية العربية.

لكن هل عرف العرب القصة بمعناها اليوم أم بمعناها الذي كان سائدا عند جميع الشعوب أي الحكيم؟

- يؤكد أغلب النقاد أن الرواية بمعناها الحالي لم يعرفها العرب ولكن بمفهوم الحكيم كانت موجودة لدى العرب منذ العصر الجاهلي حيث كانت لهم القصص و الأخبار حول الغزوات و الأساطير القديمة...

- مع مجيء الإسلام جاء القرآن بأسس القصص، ثم ظهرت قصص الأنبياء و سيرة النبي ...

- ثم تطورت مع تقدم العصور الإسلامية فكان الرواة ينقلون أخبار و قصص العشاق كقصة "عنترة و عبلة" و "ليلي و الجنون" و "جميل بثينة" ....

- في العصر العباسي نقل الكتاب بعض القصص الأجنبية أشهرها "كليلة و دمنة" ل "ابن المقفع" حيث صار نموذجا سار على منواله الكتاب الذين صاغوا أفكارهم الفلسفية على أسنة الحيوانات، كذلك "ألف ليلة و ليلة"، القصص التي أثرت في الأدب القصصي تأثيرا كبيرا.

كذلك كتاب "البخلاء" الذي ألفه "الجاحظ" و "رسالة الغفران" التي كتبها "المعري" - قصة موضوعها سفر خيالي الى الجنة والجحيم و تميزت بخيال خصب و تعتبر من الآثار النادرة.

- ثم "المقامة" و هي أقرب الأنواع القصصية في الأدب العربي إلى القصة الفنية الجديدة - قصة تدور حول مغامرات بطل يرويها راو معين غايتها تعليمية رائدها و مبدعها "بديع الزمان الهمذاني" و من أعلامها "الحريري".

- إضافة لهذا نرى القصص واصل سيره، و دخلت فيه "الرحلات" رحلة "ابن بطوطة" رحلة "ابن جبير" و "السير الشعبية" "سيرة عنترة" "سيرة بني هلال" ....

- هذا الزخم من التراث القصصي لدى العرب يثبت أنهم كانوا بفطرتهم يميلون الى القصص و الأخبار و أن القصة بمفهوم الحكيم وجدت عندهم منذ زمن طويل و يقول النقاد أن الغربيين في بداية نهضتهم أثر فيهم القصص العربي القديم و أنهم لم يعرفوا القصة إلا بعد اطلاعهم على أمثال قصص "ألف ليلة و ليلة" و أبطالها مثل "السندباد" و "علاء الدين" و غيرهم....

بعد هذه الإطلالة العابرة على الأدب العربي القديم نستطيع القول أن الرواية الحديثة نشأت و تطورت لدى أدباء الغرب لكن اطلاعهم على التراث القصصي العربي الضخم أثر تأثيرا بارزا - حسب رأي بعض النقاد - في إنشائهم لهذا الجنس الجديد الذي طوروه فيما بعد.

فالعرب بعد هجمة التتار و سقوط الدولة الإسلامية و بدء فترة الانحطاط مما أدى إلى عدم حفظ هذا التراث الضخم و الثمين و عدم تطوير هذه السرود حيث لم نجد ابداعا قصصيا متطورا.

## مرحلة تأصيل ونضج الرواية

هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة في تطور الرواية العربية و التي اعتبرت قمة المراحل و تسمت بمرحلة التأصيل ، و قد تداخلت هذه المرحلة بالمرحلة السابقة عقدا من الزمن حيث كانت الثلاثينات خاتمة مرحلة التكوين و مدخلا الى مرحلة التأصيل، و اختارت الرواية اتجاها جديدا نتيجة لأسباب و عوامل لم تكن ميسرة في المرحلة السابقة.

- أتاحت الفرصة في هذه الفترة للكتاب الاطلاع على المناهج و طرق البحث العلمي كما أتاحت لهم فرصة الاطلاع على اللغات الأجنبية و الدراسات الواسعة في ميادين الأدب و الرواية و الفروع المختلفة للفكر الأوروبي بلغاته الأصلية.

- كان للجامعة المصرية الدور الهام في التمهيد لهذه القفزة النوعية إذ هيأت الذهنيات لجيل مثقف مطلع على الفلسفة ، و علم الاجتماع ، و التاريخ ، و علم النفس.

- كانت كذلك الدعوة إلى الحرية في التفكير و الإشادة بالقيم الديمقراطية التي علمها الجامعيون لهذا الجيل. كل هذا أخرج جيلا من الكتاب اتجه في كتاباته نحو الواقعية مستعينا بقوى العقل والمنطق في مواجهة الأحداث و المشاكل و التعبير عنها و ابتعد عن النزعة الرومانسية السابقة.

- أطلق على هذا الجيل من الكتاب "جيل الجامعيين" لأنهم من خريجي الجامعة منهم "علي باكتير" خريج قسم اللغة الانجليزية ، "عبد الحميد جودة السحار" خريج كلية التجارة و الاقتصاد ، "يوسف السباعي" خريج الكلية الحربية ، "احسان عبد القدوس" خريج كلية الحقوق ، "يوسف إدريس" خريج كلية الطب، "عبد الرحمان منيف" دكتوراه في الاقتصاد و قمة روائيين هذه المرحلة "نجيب محفوظ" خريج قسم الفلسفة...

- تخلص هؤلاء من عيوب كتابات المرحلة السابقة من الناحية الفنية.

- حاولوا التخلص من عقدة الانبهار و الإعجاب بالثقافة الغربية ، و قطف ثمار هذا الفكر دون وعي و منهجية.

- رغم هذه التطورات من ناحية البناء الفني إلا أنها لم تكتمل أحيانا من ناحية الأسلوب حيث تراوح أسلوبها بين التصوير و هو طابع الفن الروائي و صفة التقرير و هو طابع المقالة.

- و يعد "نجيب محفوظ" مؤسس البناء الفني للرواية العربية و بلغ به الذروة إلى حد بعيد ، فهو سيد الميدان بلا منازع فرواياته "خان الخليلي" ، و "زقاق المدق" ، تمثل رؤية جديدة أضافت إلى أجواء الرواية عوالم أرحب و أوسع.

و في الستينيات من القرن 20 بدأ "نجيب محفوظ" يبدع عالما روائيا جديدا مستخدما تقنيات أكثر إبداعا و أكثر تعقيدا ، و تقف رواياته "اللس و الكلاب" ، و "السمان و الخريف" ، و "الطريق" ، و "ثرثرة فوق النيل" ... معلما بارزا في مسيرة الرواية الجديدة.

ذلك أن المضامين الاجتماعية التي عني بها من قبل امتزجت بها في هذه المرحلة مضامين فكرية إنسانية و نفسية احتاجت الى شكل روائي أكثر فنية من مرحلته السابقة.

